خطبة بعنوان: تربية البنات

يوم الجمعة: ٢٢/٠٣/١٤٤٠هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون...جرت العادة عند الحديث عن التربية التشريك بين الجنسين إلا أن إفراد أحدهما عن الآخر لتباين طبائعهما، واختلاف خصائصهما أولى وأحسن، والحديث عن تربية البنات وقواعده وأصوله مهمٌ للغاية.

أيها المسلمون... قررت الشريعة الفضل العظيم ، والثواب الجزيل لمن عُني بتربية البنات والإحسان إليهن. عند البخاري أن النبي ﷺ قال: ((من ابتُلي بشيءٍ من هذه البنات، فأحسن إليهن كن له سترًا من النار))، وعند مسلم أنه ﷺ قال: ((من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا، وضم أصابعه)).

أيها المسلمون... يرزق الله من يشاء بالذكور أو الإناث ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[الشورى:٤٩-٥٠]، وإن من خصال الجاهلية التشاؤم بولادة البنت ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[النحل:٥٨-٥٩] وقد يجعل الله عز وجل في البنت من البركة والخير والنفع لوالديها ما ليس في الذكر.

أيها المسلمون... خص الله عز وجل البنت بخصائص فطريةٍ، اقتضتها طبيعتها يترتب عليها أحكامٌ شرعية؛ ولهذا يجب على الأسرة أن تُفقه البنت فيما يخص هذه الأمور حتى لا يؤدي الجهل بها إلى ترك واجبٍ، أو فعل محرم.

أيها المسلمون...ويجب على الأسرة العدل بين الذكور والإناث في الملاطفة والمعاملة. روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:((اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم))، والأقبح، والأفحش في هذا الجانب أن بعض الناس يسيء معاملة البنات، أو يسمح للأولاد من الذكور بإساءة معاملتهن، وهذا ظلمٌ فاحشٌ، وجورٌ بينٌ لا تقره الشريعة.

أيها المسلمون...إن الله عز وجل لما خلق الذكر والأنثى جعل لكلٍ منهما من الطبائع والخصائص ما ليس للآخر، فجعل من خصائص الذكر : القوة والشدة والصلابة، وفرض عليه وظائف تناسب هذه الخصائص من السعي والكد والكدح والضرب في الأرض، وجعل من خصائص المرأة : الضعف والليونة؛ ولهذا جعل من وظائفها تبعًا لهذه الخصائص: التربية ، والرعاية، والإرضاع، وغير ذلك.

أيها المسلمون...ولهذا فالوظيفة الأساسية، والعمل الأصليُ للمرأة هو أن تكون زوجًا وأمًا فيجب أن يُعزَّز ذلك في نفوس البنات، وأن يُحذر من كل أطروحةٍ تناقض الشرع أو الفطرة أو العقل، فتُرجئ هذا المفهوم الأساسي أو تُغيبه في نفس البنت حتى تتعلق بمفاهيم أخرى فتجني على فطرتها وعلى حياتها أعظم جناية، وتُقدم أشياء أخرى على هذا العمل الأساسي، فتقدم الدراسة أو الوظيفة على هذه المهمة حتى يدركها قطار العنوسة فيدهسها بعجلاته، وحينئذٍ تندم ولات ساعة مَندَم.

أيها المسلمون... إن الله عز وجل أمر البنات بما لم يأمر به الذكور من لزوم العفة، والحرص على الحياء، وفرض الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ...﴾[الأحزاب:٥٩]، فالحجاب، والعفة، والحياء فريضةٌ ربانية، وشريعةٌ إلهية التزم بها نساء النبيﷺ، ونساء المؤمنين من بعده، وعلى هذا فيجب على الأسرة أن تنمي المحافظة على هذه الشعائر والشرائع في نفوس البنات؛ حتى ينشأن على العفة، والفضيلة، والحياء، وأن يُحذر من كل مِعوَل هدمٍ يهدم هذا البناء العظيم.

أيها المسلمون... إن تربية البنات مسؤوليةٌ كبرى، وأمانةٌ جُلَّى ينبغي الاهتمام بها، ورعايتها، والحرص عليها، ولأن البنت قد تغلب عليها عاطفتها، ويغيب عقلها أحيانًا؛ لهذا يجب على الأب وعلى الأم أن يكونا قريبين من بناتهم حتى لا تقع البنت ضحيةً، أو فريسةً لمشكلةٍ اجتماعية تعترضها فتقضي عليها، وعلى حيائها، أو عفتها، فإن بعض الأمهات أو الآباء يجعل بين أبنائه، وبناته خصوصًا حواجز كبار لا يستطيع أن يصل إلى البنت، ولا أن تصل إليه، وإن ضمهما جدارٌ واحد لكنه جعل هذه الحواجز تحول بينه وبين البنت، فربما وقعت البنت في مشكلاتٍ اجتماعية فيمنعها حياؤها، أو بُعد أمها وأبيها عنها من أن يُسهما في استنقاذها من ذلك.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.